

الأبعاد التواصلية في ثقافة استخدام الهاتف النقال لدى الشباب الجزائري

قراءات في سوسيولوجيا التواصل الوسيلى

The dimension of communication in the culture of using mobile phone for

Algerian youth

Readings in the sociology of media communication

إبراهيم بلعباس¹، صفوان عصام حسيني²¹ كلية علوم الإعلام والاتصال، جامعة الجزائر 3 (الجزائر)، brahimhomani9@gmail.com² كلية علوم الإعلام والاتصال، جامعة الجزائر 3 (الجزائر)، safouane1962@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 2022/08/10 تاريخ القبول: 2022/10/27 تاريخ النشر: 2022/12/28

ملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى محاولة التعرف على مختلف الأبعاد التواصلية في ثقافة استخدام الهاتف النقال لدى الشباب الجزائري، بعد أن أصبح الهاتف النقال أهم وسيلة تواصل في حياة الشباب الجزائري في الوقت الحالي، خاصة وأن الهاتف النقال وفق هذا المنظور أخذ أبعاداً أكثر شمولية وأهمية في عمليات التواصل والتفاعل، الأمر الذي أحدثت تغييرات جوهرية على أنماط التواصل التقليدية بين الشباب ولدى مختلف الشرائح الاجتماعية في المجتمع الجزائري.

ولقد بينت هذه الدراسة في بُعدها النظري أهمية استخدام الهاتف النقال كوسيط اتصالي، من مُنطلق أنه أحدث ثورة نوعية على الأنماط الاتصالية التي عَرَفها الإنسان على مَرِّ التاريخ وفي حركة التواصل الإنساني، وهو ما يستدعي إعادة النظر في طريقة تواصل الشباب الجزائري وتفاعلهم بالآخرين وبشكل خاص فهم علاقاتهم بهذه الوسيلة، بحيث أصبحت الاتصالات الهاتفية تُثير في الوقت الحالي نقاشات جوهرية حول طبيعة الانعكاسات: النفسية والثقافية والاجتماعية والاتصالية والأخلاقية على الشباب الجزائري.

كلمات مفتاحية: التواصل، ثقافة، استخدام، الهاتف النقال، الشباب الجزائري.

Abstract:

This study aims to try to identify various communicative dimensions in the culture of mobile phone use by Algerian young people, after the mobile phone became the most important

instrument of communication in the life of Algerian youth at the present time, especially since the mobile phone according to this perspective took more comprehensive and important dimensions in The processes of communication and interaction, which have brought about fundamental changes to the traditional patterns of communication between young people and among the different segments of Algerian society.

This study has demonstrated in its theoretical dimension the importance of using the mobile phone as a communication medium, on the basis that it has made a qualitative revolution in the communication patterns that humans have known throughout history and in the movement of human communication, which calls for a review of the way Algerian youth communicate and interact with others. In particular, the understanding of their relations in this way, so that the phone calls now provoke fundamental discussions about the nature of the psychological, cultural, social, communicative and ethical repercussions on Algerian youth.

Keywords: communication, culture, use, mobile phone, Algerian youth

*المؤلف المرسل

1. مقدمة:

تُعد تكنولوجيا وسائل التواصل الحديثة من بين أكثر المظاهر حضوراً واستخدماً في هذا العصر نتيجة الانتشار الواسع والكبير لمعدلات استعمالها اجتماعياً بين الناس ، ولقد ساهمت وسائل التواصل الإلكترونية الحديثة بشكل كبير في تقريب المسافات الجغرافية ، واختصار الوقت وزادت من إمكانيات التواصل بين الأفراد والجماعات في سياق التفاعل الإنساني العالمي.

إن الملاحظ والمتتبع لجملة التحولات التي أدخلتها تكنولوجيا التواصل الحالية و الهاتف النقال خصوصاً على حياتنا العصرية على أكثر من صعيد، من شأنه يطرح إشكاليات مفصلية حول التأثيرات العميقة صاحبت موجة تملك الهاتف النقال ودخوله تقريباً في كل العمليات الاتصالية الحديثة لإنسان اليوم ، بحيث تُشير أحدث الإحصائيات

المتعلقة باستخدامات الهواتف النقالة على المستوى العالمي يصل نحو 5,20 مليار يستخدمون الهواتف النقالة من أصل 7,81 مليار نسمة ساكن في هذه المعمورة⁽¹⁾.

و يُعد الشباب من أكثر الشرائح الاجتماعية وُلوعا و استخداما لتكنولوجيا التواصل الحديثة في الوقت الحالي ، و يأتي على رأس هذه الوسائل الهاتف النقال لذلك تعددت البُحوث و الدراسات حول تملك و استخدام الهواتف النقالة لدى الأفراد بصفة عامة و في أوساط الشباب على بالخصوص: لأن دراسة استعمال الشباب لهذه الوسيلة التواصلية الفورية يتطلب كشرط أساسي الفهم الجيد لهذه الشريحة من الناحية النفسية و الجسمية و العقلية و الاجتماعية و الثقافية.

و بُغية تحريك الشغف البحثي لدراسة التحولات السوسولوجية و الاتصالية و الثقافية ذات الطابع السلوكي لدى لشباب الجزائري من المستخدمين للهاتف النقال و الأجهزة الذكية الرقمية بدراسات أكثر إلماما و توسعا في مسعى رصد و متابعة مختلف تطورات التواصل الهاتفي بين الجزائريين ، بحيث أصبحت الاتصالات الهاتفية تُثير في الوقت الحالي نقاشات جوهرية حول طبيعة الانعكاسات على النسيج الاجتماعي و بناء الروابط الاتصالية و التفاعلية بين الشباب و لدى مختلف الشرائح الاجتماعية في المجتمع الجزائري.

و لبحث موضوع الأبعاد التواصلية في ثقافة استخدام الشباب الجزائري للهواتف النقالة من منظور سوسولوجي عبر الإشكالية المואلية: ما هي أنماط و أبعاد التواصل الوسيلى للهاتف النقال ضمن السياقات السوسولوجية و الاجتماعية و الثقافية التي يَعِيشها الشباب الجزائري؟.

(¹) . أنظر نتائج التقرير على الرابط التالي : <https://datareportal.com/reports/digital-2020-october-global->

statshot ، تاريخ التصفح يوم 2020/11/14 ، على الساعة 11:20 صباحا.

و سوف نحاول تفكيك هذه الإشكالية من مُختلف جوانبها المعرفية و العلمية من خلال التطرق إلى عدد من العناصر المهمة التي من شأنها تقديم إضاءات مُفسرة لمُختلف جوانب الإشكالية السالفة الذكر من خلال النقاط الآتية:

2. تطبيقات و استخدامات الشباب الجزائري للهاتف النقال.

تؤكد الاستعمالات اليومية لأجهزة الهواتف النقالة إلى وجود تباين في استخدام الهاتف النقال لدى المستخدمين و يرجع ذلك بالأساس إلى وجود اختلافات في الدوافع الثقافية و النفسية و الاجتماعية و الاقتصادية التي تُحرك سلوك الشباب الجزائري لتَمَلُك و استخدام الهاتف النقال في عمليات التواصل.

و تَعكّس هذه الاختلافات الوظيفية الأصلية و الأساسية التي ابتُكر لأجلها الهاتف النقال كأداة تواصل بين الأفراد عن بُعد مُتجاوزاً عَاقِبِي : بُعد " المكان الجغرافي " و مُشكل " آنية وقت الاتصال " لتحقيق التفاعل اللحظي بين طَرَفِي المُكالمة الهاتفية بِشكل فوري مَهْمَا بَعُدَتْ المسافات الفاصلة بين المُتَصِلِينَ ، و ضِمْنَ هذا الإطار يُمكن تَقْسِيم استخدامات الهاتف النقال مِن طرف الشباب الجزائري على وجه التحديد في هذا المقال إلى أربعة أنواع كما سَيَلِي توضيحها:

1.2 خدمات اتصالية بالمُقَابِل يُقدمها مُتعاملي الهاتف النقال في الجزائر:

و تتمحور هذه الخدمات أساساً في إجراء المُكالمات و إرسال الرسائل القصيرة (SMS) و المُصورة (MMS **) و إجراء المُكالمات المرئية من خلال شَبَكَتِي الجيلين G3 و G4 ، و خدمة الرسائل الصوتية (Boite vocale) و خدمة الرَد الآلي (Répondeur Automatique) ، و غيرها من الخدمات التي يُقدمها المُتعاملون الثلاثة (موبيليس و جيزي

** تُسمى باللغة بالفرنسية " Service de messagerie multimedia " و تسمى بالإنجليزية " Multimedia messaging service " وهي نظام (خدمة) يُتيح نقل الصوت و الصور و الرسوم المتحركة في الرسائل النصية ، أنظر: مي العبد الله و عبد الكريم شين ، 2014 ، ص 161.

و أوريدو) لفائدة المُشترَكين في خدمات الهاتف النقال في الجزائر مُقابل أسعار مُحددة من طرف المتعاملين.

2.2 خدمات و تطبيقات مُبرمجة في أنظمة أجهزة الهواتف النقالة:

و تختلف هذه التطبيقات باختلاف أجهزة الهواتف النقالة حسب أسعارها في السوق و أجيالها و اسم العلامات المُصنعة لها و خصائصها التكنولوجية : بحيث تدرج ضمن هذا النوع من الخدمات و التطبيقات كُل من : تحميل التطبيقات الخاصة بالهواتف النقالة و الاستماع لبرامج الإذاعة عبر موجات FM و ألعاب الترفيه و التسلية و الألعاب الفكرية و استخدام شبكات (الويفي Wifi) لتصفح الانترنت المحمولة و تبادل الملفات و المضامين (رسائل ، صور ، مقاطع سمعية ، فيديوهات بتقنيات البلوتوث، الأشعة تحت الحمراء، الويفي ، تطبيقات التراسل و التقاط الصور للذكرى و التقاط الصور الذاتية " السيلفي . Selfie" و تصوير و تسجيل مقاطع الفيديو و تسجيل الأصوات و استخدام المنبه و رؤية الوقت و تاريخ اليوم على شاشة النقال و توقيف الأرقام غير المرغوبة و الاستفادة من تطبيقات القراءة و التعليم و تحميل الكتب ، و غيرها من التطبيقات المجانية التي لا يُمكن حصرها على حزم التطبيقات الخاصة بالشركات المصنعة للهواتف النقالة مثل " Play Store " و " App Store " أو على شبكة الأنترنت مثل "Google Play" ، إضافة إلى كل التطبيقات الحديثة التي تطرحها الشركات العالمية الصانعة لمختلف ماركات أجهزة الهواتف النقالة. و تُعرف هذه الاستخدامات و التطبيقات إقبال كبير جدا من طرف غالبية الشباب الجزائري من مُستخدمي الهواتف النقالة في الجزائر.

و ما يُمكن الإشارة إليه ضمن هذا السياق أن الشباب الجزائري يبحث دائما عن تعظيم حاجاته التواصلية بالاستغلال الكامل لكل ما يُمكن أن توفره تكنولوجيا التواصل الحديثة ، و هو ما يعنى في الوقت ذاته مُراعاة نوعية الهاتف المملوك و ما يُتيح من فُرص و إتاحات تكنولوجية، و الواقع أن استخدام أجهزة الهواتف النقالة يؤكد حقيقة توسع و تعدد في الخدمات و التطبيقات التي تُوفرها أجهزة الهواتف النقالة الذكية كرهان

مُستقبلي للشركات الصانعة لأجهزة الهواتف النقالَة ومُوفري الخدمات الهاتفية المحمولة على المستوى العالمي، وهو ما يُفسر من جانب آخر أهمية التركيز على تقديم خدمات هاتفية جديدة وعلى ابتكار تطبيقات وحلول اتصالية مُستحدثة.

و وفق هذا السياق أصبح يُنظر في الوقت الحالي لأجهزة الهواتف النقالَة الذكية المصنوعة من قِبَل العَلامتين التجاريتين (سامسونغ و آيفون) على سبيل المثال على أنها وسائل مُدمجة استطاعت أن تستوعب جُل التطبيقات التي تُوفرها أجهزة الكومبيوتر المزودة بشبكة الانترنت، فالهواتف النقالَة من الجيل الثالث أو الرابع أصبحت تختزل مجموعة من وسائل الإعلام والاتصال التقليدية وتُوفر نفس الخدمات و بِدرجة عالية من الجُودة و الدقة : فالكثير من الخدمات التي كانت تُقدمها وسائل الإعلام والاتصال بِصفة مُنفردة حسب خصوصية كُل وسيلة أصبحت اليوم مألوفة و من بَين التطبيقات الضرورية الموجودة ضمن أنظمة التشغيل الخاصة بالهواتف النقالَة الذكية⁽²⁾ مثل أنظمة التالية: (Symbian، Black Berry ، Windows Phone، IOS، Android)، و التي يمكن استخدامها ومشاهدتها على الشاشات الصغيرة و المُضيئة لأجهزة الهواتف النقالَة ، لذلك أصبح من المألوف أنه باستخدام بعض النقرات على الشاشة اللّمسية للهاتف النقال بُغية سماع مُختلف المَحطات الإذاعية الوطنية و العربية و الدولية و أيضا الاستماع لموسيقى (MP3) و مختلف النغمات و الرنات* ، و الأمر كذلك بالنسبة لمشاهدة

(2). تعرف على أشهر 5 أنظمة تشغيل للهواتف الذكية ، أنظر الرابط التالي على شبكة الانترنت :

WWW.DOTMSR.COM ، تاريخ التصفح يوم 2020/11/11م، على الساعة 15:00 زوالا.

* لقد أصبح لرنات الهاتف النقال عدة مدلولات اجتماعية و نفسية بالإضافة إلى وظيفتها الأساسية المتمثلة في تنبيه صاحب الهاتف بِوجود اتصال (مُكالمة هاتفية واردة) ، حيث أن لِنغمات الهاتف النقال التي نَسْمعُها يوميا في كُل مكان : في البيت و في الشوارع و في الأماكن العامة و في الفضاءات الخاصة (المؤسسات ، المساجد ، الجامعات ...الخ) تُعطي دَلالات حول طبيعة شخصية صاحب الهاتف: كأن تُشير الرّنات ذات الطابع الديني إلى الشخصية المُتزنة و المُتدبنة و المُحافظة ، و قد تُشير الرّنات الغربية الأجنبية (الموسيقى و الأغاني) إلى الشخصية المُتحررة و المُتفتحة على الآخرين، و

القنوات التلفزيونية العالمية مع إمكانية تصفح شبكة الانترنت و مواقع التواصل الاجتماعي ، بالإضافة إلى تبادل الملفات الصوتية و الصور و الفيديوهات عبر تقنيتي الأشعة تحت الحمراء و البلوتوث و التطبيق المجاني شاريت (SHAREIT) وغيرها من تطبيقات ترأسل الملفات المجانية.

3.2 خدمات مجانية تُقدمها شركات الهاتف النقال (المتعاملين):

من بين هذه الخدمات نجد: كشف الرصيد و تحويل المكالمات و خدمة إخفاء الرقم الشخصي، المكالمة المزدوجة **Double appel**، استعمال البيباج أو مكالمات التنبيه (le bipage)، و تحميل بعض التطبيقات المجانية الخاصة بالمتعاملين (موبيليس، جيزي، أوريدو) ...الخ، و بصفة عامة يستخدم الشباب الجزائري هذه الخدمات و أخرى بطرق مختلفة لتحقيق غايات و إشباع حاجيات مختلفة .

و ما يستوقف الانتباه أن من بين أهم الخدمات التي تستهوي الشباب الجزائري بشكل خاص هي خدمة كشف الرصيد، و استعمال " البيباج " كآلية للتنبيه منذ البدايات الأولى لظهور الهاتف النقال في الجزائر: الأمر الذي يترك الباب مفتوح للاجتهاد من أجل تحديد أبعاد الدلالات الاتصالية لـ " البيباج " في سياق الثقافة الاتصالية للشباب الجزائري.

و عليه يمكن إعطاء تعريف لظاهرة البيباج في المجتمع الجزائري على أنها : " آلية اتصال و تواصل يبدأ و ينتهي بتنبيه صوتي في الغالب أو في شكل رنين هاتفي على هاتف الشخص المتصل به دون وجود نية لإجراء المكالمة الهاتفية حتى النهاية".

و يحمل " البيباج " في حد ذاته مدلولات اتصالية ضمن السياق العام للاتصال ، يتوقف فهم تأويلاته على طرقي الاتصال بفك رموزها و أبعادها : لأنه يترك المجال واسعا لحالات التأويل و الاحتمال لمعرفة المقصود من " البيباج " كرسالة اتصالية متبادلة بين المتصلين.

كما تُشير الرّنات الرومانسية إلى الشخصيات الحساسة و العاطفية، و الرنات المضحكة إلى الشخصيات الكوميدية التي تميل إلى الهزل و الطرفة.

4.2 خدمات مدفوعة عبر انترنت الهاتف النقال:

و يُمكن حصرها في جميع الخدمات و التطبيقات التي يستخدمها المُستخدمون انطلاقا من الهواتف النقالة التالية (هواتف ميلتيميديا ، الهواتف الذكية من الجيلين الثالث أو الرابع ، اللّوحات الرقمية ...الخ) عبر دفع مستحقات خدمات شبكة الانترنت ، وهذه الخدمات لا يُمكن عدّها لأنها هي نفسها الخدمات التي توفرها شبكة الانترنت فقط يُمكن الولوج إليها عبر هواتفنا النقالة مثل : مشاهدة التلفزيون و تحميل المقاطع التلفزيونية و مقاطع من اليوتيوب⁽³⁾ و تحميل التطبيقات الخاصة بالهواتف النقالة وألعاب الترفيه والتسلية و الألعاب الفكرية على الخط ، و استخدام شبكات (الـ Wifi) لتصفح الانترنت بالهاتف النقال، وتصفح الانترنت ومواقع التواصل الاجتماعي : فايسبوك ، تويتر ، فاير ، أنستغرام ، فايس تام...الخ ، و تبادل الملفات و المضامين مثل: رسائل ، صور ، مقاطع سمعية ، فيديوهات عبر تطبيقات التراسل المختلفة و متابعة الأخبار و المضامين الإعلامية و الثقافية و الاستفادة من تطبيقات القراءة و التعليم و تحميل الكتبالخ وغيرها من التطبيقات الهاتفية الكثيرة المُحمّلة و المُتصفح باستخدام شبكة الانترنت.

و تُفيد الملاحظات اليومية مُجتمعة إلى أن غالبية الشباب الجزائري اليوم يَستهدف و تَستَهِيه الخدمات الاتصالية و الترفيهية و العلمية و الثقافية و الإعلامية التي تقدمها شبكة الانترنت أو الانترنت المُتنقلة المُتصفح عبر الهواتف النقالة الذكية ، بفضل دخول خدمات الجيلين الثالث و الرابع* المزودة بالانترنت، لذلك نجد الشباب الجزائري اليوم

(3). يَستَخدِم موقع اليوتيوب (Youtube) أكثر من مليار مُستخدم عبر العالم، أي قُرابة ثلث الأشخاص الذين يستخدمون الأنترنت ، كما ارتفع معدل الحجم الساعي التي يَقْضِيه المستخدمون في مُشاهدة مقاطع الفيديو على الهواتف النقالة بنسبة 100 % مُقارنة بعام 2017م ، و أن أكثر من نصف المُشاهدات على اليوتيوب مصدرها الهواتف المحمولة. أنظر الإحصائية المقدمة من طرف موقع اليوتيوب على الرابط التالي على شبكة الانترنت : <https://www.almrsl.com> ، تاريخ الولوج 28 ماي 2018 م على الساعة 11:20 صباحا.

* يُنْتَظَر تَعْمِيم دخول شبكة الجيل الرابع للهواتف النقالة على باقي الولايات الجزائرية حسب دفتر الشروط الذي يُؤكد التزام المتعاملين الثلاثة (: موبيليس و جيزي و أوريدو) أمام سلطة الضبط للبريد و المواصلات السلوكية و اللاسلوكية

أصبح أكثر ارتباطاً بمضامين الهاتف النقال الذي أخذ دور الوسيط الاتصالي نحو شبكة الانترنت بكل مضامينها و محتوياتها ؛ و عليه فإن الهَوَامِش أضحت شبه مُنعمة بعد تزاوج شبكتي (الهاتف النقال و الانترنت) من حيث إمكانية الوصول للمُحتوى الرقمي الجزائري و العالمي ضمن الفضاء الرقمي الأكثر رحابة و ثراء ، وهو ما سَهّل إقبال الشباب الجزائري على تصفح المضامين عبر الانترنت المحمولة للهواتف النقالة مع شرط وجود التغطية الهاتفية للمتعاملين بشبكتي الجيلين الثالث و الرابع.

هذه بعض الخدمات و الاستعمالات الاتصالية الأكثر طلباً للإشباع باستخدام الهواتف النقالة أو عبر شبكة الانترنت المحمولة سواء كانت هذه الخدمات و الاستخدامات مَجانية أو بالمقابل باستخدام الهاتف النقال ، لأنه من غير المُمكن مُلاحقة كل الخدمات و التطبيقات الهاتفية لأنها تَتاج حركة دائمة من الابتكار و التجديد التكنولوجي لتوفير الحلول الاتصالية للمستخدمين خاصة من شريحة الشباب سواء بالنسبة للمتعاملين في تسويق خدمات الهاتف النقال في الجزائر أو تلك المُتعلقة بالمستحدثات التكنولوجية لمُطوري التطبيقات الاتصالية و الحلول الهاتفية لكبار مُصنعي أجهزة الهواتف النقالة على المُستوى العالمي.

3. أهمية الهاتف النقال في التواصل الاجتماعي.

إن تَتَبُع استخدام الهواتف النقالة لدى الشباب الجزائري عبر الاستخدامات الكثيفة لمُختلف تطبيقاته اليومية و الدائمة الحضور ضمن تَمَظُّهَرَات الحياة اليومية : كحالة طاغية في سياق المَشاهد المألوفة لكيفية تعامل الشباب الجزائري مع أجهزة الهواتف النقالة في إدارة مُختلف العمليات الاتصالية و التواصلية الخاصة و العامة في منحنى تصاعدي لتعاظم توظيفه اجتماعيا. و لقد يَن تَزَايِد الاعتماد الشِّبه التام على الهاتف النقال كوسيلة تواصل مهمة في حياتنا اليومية الكثير من التَّجَلِّيات الثقافية على

المستويين الفردي والاجتماعي انطلاقاً من الرهانات و التداعيات : الثقافية و التكنولوجية و النفسية و الاجتماعية و الاقتصادية...الخ ، كنتيجة طبيعية لتغلغل الاستخدام الواسع للهاتف النقال من طرف الأفراد من أجل قضاء و تصريف مُختلف مشاغلهم اليومية و تسهيل التواصل الاجتماعي.

و لقد أظهر الشباب الجزائري وَلَعاً خاصاً بأجهزة الهواتف النقالة الحديثة مثل : أجهزة "سامسونغ" و "هواوي" و "آيفون"⁽⁴⁾ ، ليس فقط لما توفرها هذه العلامات العملاقة لمُستخدمي الهواتف النقالة عبر العالم من آلاف التطبيقات في مختلف المجالات و الاستعمالات من خِيارات اتصالية و حُلُول مُبتكرة : في مَسعى جعل الهواتف النقالة تَسْتَجِيب لأقصى ما يطلبه المستخدم العالمي من حاجيات اتصالية و إعلامية و خدماتية و ترفيهيةالخ.

و يَشهد العالم اليوم أرقام قياسية في مُعدلات تَمَلُّك الهواتف و توظيفه اجتماعيا في كل المجالات الحياتية تقريبا، و ذلك بوصفه وسيلة أو جهاز له حضور جماهيري واضح ، كونه أكثر مُلَازمة و إصطِحاباً و قُرْباً من طرف مُستخدميه ، الأمر الذي غير من حالة المشهد الاتصالي المألوف بفعل الاستخدامات الجديدة و المُبتكرة للهاتف النقال في وقتنا الحالي بفعل الابتكارات التكنولوجية المُتلاحقة التي عرفها هذا الجهاز من أجل تحسين كفاءة أدائه الاتصالي عبر تطبيقاته المُختلفة. و كل هذا ساهم بدون شك في طرح انشغال مُهم حَول كيفية استخدام الشباب الجزائري لهاتفه النقال و انعكاس ذلك على طبيعة الثقافة التي أحدثها هذا الاستخدام لدى الشباب الجزائري؟.

(4). كشف سير آراء أعدته المنظمة الجزائرية لحماية المستهلك على موقعها الرسمي (apoce.alger@gmail.com بتاريخ 22 أبريل 2018 م : أن الزبون الجزائري يفضل الماركات العالمية لصناعة أجهزة الهواتف الذكية الآتية : سامسونغ ب 29% و هواوي ب 26% و آيفون ب 12% و كوندور ب 09% و أوبو ب 05% و سوني ب 04% و آلجي ب 03% و نوكيا ب 02%.

وبذلك إنتقل تعامل الجزائريين و خاصة الشباب منهم مع أجهزة هواتفهم النقالة من الاستخدام الهادف و التقليدي المُقتصر على إجراء المكالمات و استقبالها وكتابة الرسائل وقراءتها إلى عدد غير مُنتهي من الاستخدامات و الذي يستحيل ملاحظته بفعل اجتماع عناصر جديدة أفرزتها على وجه الخصوص تطبيقات الانترنت المحمول و مواقع التواصل الاجتماعي ، و هو ما لفت الانتباه إلى نتائج التَّشكُّلات و التَّمْظُهُرات الثقافية التي صاحبت و وَاكبت إستخدام الهواتف النقالة و خاصة في الفضاءات و المواقع الافتراضية على شبكة الأنترنت بالرغم من مُنطلقات إستعمالاته الواقعية ، و نقصد بذلك السياق الفردي و الاجتماعي الذي يستخدم فيه الجزائريين هواتفهم النقالة.

و نعتقد أن الحديث عَن تَشَكُّل ثقافة خاصة بالهاتف النقال لا يُعد في الوقت الراهن مُراهنة علمية ، رغم أنها تحتاج إلى دراسات أكثر عُمقا و تنوعا مع تَضَافِرِ عِدَّة تخصصات معرفية أخرى حتى تُحصي التمثلات الثقافية و السلوكية التي أدخلها استخدام الهاتف النقال على أنماط تَوَاصِلنا اليومية ، و كذلك حول طبيعة تفاعلنا بالآخرين و علاقاتنا بوسائل الإعلام و الاتصال الأخرى : كون أن الهاتف النقال أحدث ثورة في حياتنا الاتصالية و في نوعية العلاقات التي أضحت تَرِبُّنَا بِبَعْضِهَا البعض، كما أن الهاتف النقال غَيَّرَ بِشَكْلٍ جِذْرِي نَظَرَتِنَا لِمَجْمُوعَةٍ من العوامل المُهمَّة في حياتنا و التي مِن بينها على سبيل الحصر عاملا الوقت و المسافة.

و تُؤكِّد المُعَايِنَات اليومية أن الاستعمال المكثف لأجهزة الهواتف النقالة لدى الشباب الجزائري قد ساهم بتَشَكُّل ثقافة خاصة باستخدام الهاتف النقال و الممارسات المُصاحبة لتعاملهم اليومي مع هذا الجهاز، رغم أن الحديث عن ثقافة هاتفية مُكتملة المعالم و ثابتة المظاهر لا تزال في البدايات الأولى من التَّشَكُّل و تحتاج في الوقت نفسه إلى مجموعة من الدراسات الخاصة التي تستقصي مُختلف الجوانب الثقافية التي تعززت بعد شيوع الاستخدام الاجتماعي للهاتف النقال في الأوساط الشبابية بشكل خاص ، دون إغفال الأسباب الموضوعية و التي تأتي في مقدمتها أن الهاتف النقال يَشْهَدُ بدايات ازدهاره

الأول : بحيث مازالت الفتوحات التكنولوجية و الخدماتية تكشف عنها الأيام، ولعل معظمها لا يزال في غيب المستقبل، إلا أن التوجهات التكنولوجية لوسائل الاتصال والتواصل الاجتماعي تتجه بقوة إلى تعزيز الاتصال الإنساني عبر التواصل الشبكي، وفي مقدمتها الهواتف النقالة عبر أجياله الحالية والمستقبلية (الجيل الخامس وما بعده).

4. التَمَطُّرات الثقافية والسلوكية لتواصل الشباب الجزائري بهواتفهم النقالة.

تأتي هذه المساهمة لسبر بعض المظاهر الثقافية الاتصالية التي أصبحت لصيقة باستخدامات شبابنا لهواتفهم النقالة في الفضاءات العمومية وفي استعمالاتهم الشخصية والخصوصية ، وهو ما يؤسس لإطرح مجموعة من الأسئلة المشروعة والمهمة التي أضحت تُمارس ضغطاً معرفياً مُتزايداً تدفع باتجاه البحث عن تفسير مقبولة حول طبيعة الثقافة التواصلية التي رافقت استخدام الشباب الجزائري للهاتف النقال كظاهرة حديثة نعيشها ونُعاشيها في سياق اتصالي داخل المجتمع الجزائري.

إن الهاتف النقال بوصفه وسيلة حاضرة في المشهد الثقافي والاتصالي بمعية وسائل الإعلام و الاتصال الأخرى و يُمثل في الوقت نفسه وسيلة تثقيفية لمعرفة الأخبار والاستفسار والحصول على المعارف والمعلومات. لذلك تطرح تكنولوجيا وسائل الاتصال الحديثة ثقافة خاصة تتماشى مع خصائص هذه الوسائل و تُجيب على سؤال تقليدي وجوهري وهي كيف نستخدم وفيما نستخدم هذه الوسيلة، وعليه يُمكن النظر إلى طبيعة الاتصال بالهاتف النقال الذي يَتِم في اتجاهين وبين شرائح واسعة داخل المجتمع الجزائري الذي يتطلب حواراً نشطاً وفعّالاً بين طرفي الاتصال أثناء تبادل الحديث والأفكار (المكالمات والرسائل والصور والفيديوهات)، وهُنا تَستطيع الهواتف النقالة أن تقوم بوظائف وسائل الاتصال المتعددة فهي تقوم بإجراء العمليات الاتصالية مع تقديم مضامين إعلامية للشباب الجزائري، بالإضافة إلى مُختلف الخدمات الترفيهية والمعلوماتية الأخرى.

وضمن هذا الإطار أحصت الجزائر حسب موقع **Datareportal** المتخصص في تقديم الإحصائيات المتعلقة باستخدام وسائل الاتصال الرقمية : بأن هناك 49,48 مليون مشترك في الهاتف النقال في شهر جانفي 2020م، وهو ما يُمثّل أكثر من 114% من سكان الجزائر⁽⁵⁾، وتؤكد هذه الأرقام حقيقة الحركية السريعة في استخدام الهواتف النقالة بين مختلف شرائح المجتمع الجزائري بوصفه وسيلة اتصال شخصية و يُقدّم خدمات إعلامية واتصالية جديدة لمستخدميه ، مما مكنه من احتلال مكانة مهمة ضمن وسائل الإعلام والاتصال الجماهيرية الأخرى المستخدمة في المجتمع الجزائري ، وبخاصة لدى فئة الشباب من الذين لم يقتصر استخدامهم للهاتف النقال في إجراء المكالمات الهاتفية العادية بل تعداه لتلبية رغباتهم و حاجاتهم : النفسية و الاجتماعية والاقتصادية والثقافية التي تُشكّل صُلب اهتماماتهم اليومية.

و يُساهم الهاتف النقال في إنتاج الثقافة المرتبطة باستخدام هذا النوع من وسائل التواصل من خلال التَمَظْهَرات السلوكية وما يُصاحبه من إنتاج وتبادل للمضامين (السمعية . النصية . المرئية) بين الملايين من مُستخدمي الهواتف النقالة في الجزائر، بمعنى أوسع خلف استخدام الشباب للهاتف النقال سلوكيات تتجلى من خلال انشغال الشباب في إجراء المكالمات الهاتفية في الأماكن المَفْتُوحَة والاستماع لموسيقى على الهواتف النقالة، وأخذ صُور للأحباب والأصحاب وأفراد العائلة والمناظر الجميلة، كما يُستخدم الشباب الهواتف النقالة في أخذ مقاطع فيديو للذكريات والأحداث الخاصة والمهمة...الخ، وتُشكل هذا الاستخدامات الأوجه الجديدة لثقافة استخدام الهاتف النقال لدى الشباب داخل المجتمع الجزائري، وهي بذلك تُساهم في ترسيخ سلوكيات حديثة حَدَاثة اعتماد الهاتف النقال كوسيط اتصالي في العلاقات الاجتماعية.

(5). أنظر نتائج التقرير على الرابط التالي : <https://datareportal.com/reports/digital-2020-algeria> ، تاريخ التصفح

يوم 2020/10/28 ، على الساعة 11:20 صباحا.

ومن أجل هذا تَبَقَّى الحاجة إلى ضرورة القيام بالدراسة والبحث عن طبيعة النمط الاتصالي الذي أضى سائدا لدى الشباب الجزائري من خلال استخدامهم للهاتف النقال في عمليات التواصل اليومية، وما يتركه هذا الاستخدام من تأثيرات ثقافية على مُختلف الجوانب الحياتية للشباب: لأن دَوَافِع ودَوَاعي إقبال الشباب على امتلاك الهاتف النقال كوسيلة اتصالية حديثة وليدة التطورات الآنية لتكنولوجيات الصورة والصوت والتي وسعت من مجال التشاركية مع مضامين الشبكة العنكبوتية للمعلومات وعن طريق مُخرجات الإعلام البديل عبر روافد مواقع التواصل الاجتماعي المختلفة . كما أن هناك اختلاف مبدئي حول درجات الرضا والإشباع المنتظرة على المستويات النفسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية جراء تباين استخدامات الهواتف النقالة بين أوساط الشباب الجزائري انطلاقا من اختلاف الحاجات المُراد إشباعها ، وَلَوْ أن هناك اتفاق وإجماع عام على أن الهاتف النقال يُوفر مُستخدميه المُتعة والتسلية والمؤانسة والترفيه...الخ، وتعزز هذا الاتجاه أكثر مع توفر خدمات الجيل الثالث للهاتف النقال بداية من شهر ديسمبر 2014 ، وخدمات الجيل الرابع بداية من شهر أكتوبر 2016 للمستخدمين الجزائريين⁽⁶⁾.

وَتَحَرَّك الشباب لاستخدام الهواتف النقالة مجموعة من الدوافع: النفسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية والعلمية تلبية لإحتياجاتهم الثقافية والاستهلاكية والسلوكية : لأن دور الهاتف النقال في عمليات التواصل الاجتماعي ككُل أصبح ظاهرة لا يُمكن نُكرانه أو تجاوزه من خلال الانتشار السريع في استخداماته في الجزائر سواء تعلق الأمر بِعَدَد مُستخدميه أو بالفئات التي تستخدمه أو فيما يتعلّق بِطبيعة الخدمات التي

(6). أنظر التقرير السنوي لنشاط سلطة ضبط البريد والاتصالات الإلكترونية عبر الرابط التالي :

https://www.arpce.dz/ar/doc/pub/raa/raa_2019.pdf ، تاريخ الولوج والتصفح : يوم 2020/11/15 م ، على

الساعة 16:00 زوايا.

يُوفرها الهاتف النقال بِصفة عامة من : اتصال فوري ، إرسال و استقبال الرسائل النصية والمُصورة و استِماع المُوسيقى المُخزنة داخل الذاكرة أو الاستِماع لِمحطات الراديو ، بالإضافة إلى تَصَفح الشبكة العالمية للمعلومات ، ومُشاهدة مِلفات المِلتيميديا (استعراض الصُور الثابتة و المُتحركة و مقاطع الفيديو والأفلام القصيرة) مع الاستفادة من تطبيقات و خيارات كثيرة تُوفرها الهواتف النقالية من الأجيال الحديثة.

5. التوظيفات الإعلامية والاتصالية للهاتف النقال من طرف الشباب الجزائري.

يُبدى الشباب بصفة عامة تعاملٌ نوعي مع وسائل الاتصال و مع أجهزة الهواتف النقال بصفة خاصة ، و يرجع ذلك باعتقادنا إلى عاملين مُهمين ، بحيث ينطلق العامل الأول : من خصوصية هذه الشريحة العمرية التي تُجسد مرحلة الشباب في عُنفوانها و إضطراباتِها وقوتها و حساسيتها و انفعالاتها و ارتباطاتها العاطفية و تنوع حاجاتها الحياتية (النفسية و الاجتماعية و المهنية و الثقافية و الاقتصادية ...الخ) التي تَصَل في بعض الأحيان حد التناقض، و يُخاطب العامل الثاني: القدرات الذهنية و الإدراكية التي تَسمح لهم إستِوعاب كل جديد يتعلق بتكنولوجيا الهواتف النقال من خلال مَهَارَات التحكم في مُختلف التطبيقات و الخدمات التي توفرها أجهزة الهواتف النقال و التي تساهم في القيام بالعمليات الاتصالية المُختلفة من (إجراء المكالمات ، كتابة الرسائل ، التفاعل على مواقع التواصل الاجتماعي ، تبادل الأخبار....الخ).

كما أن الشباب الجزائري اهتماماً كبيراً بوسائل الإعلام و الاتصال و بالهواتف النقال بصفة خاصة ، و يتجلى ذلك من خلال حرصهم الشديد على اقتناء آخر أجهزة العلامات الصانعة للهواتف النقال في العالم في مَسعى ملاحقة كل جديد يخص الخدمات و التطبيقات الاتصالية التي من شأنها المُحافظة على الروابط و العلاقات الكثيرة و المتشعبة التي يَنسُجها الشباب مع غيرهم في هذه الفترة العمرية المُتميزة ، و في هذا السياق يُبدى الشباب الجزائري مُرونة فائقة في التعامل مع جهاز الهاتف النقال بصفة خاصة باعتباره وسيلة تواصل (تفاعلية و تَخاطبية و حِواريّة) تربطهم بِذويهم و بِالأصدقاء و الأحباب.

و تتميز الفترة الشبابية من حياتهم بكثير من الحساسية و الحماس و الإثارة و التحرر، و الذي يظهر في أشكال من الأنماط السلوكية و التَمَظُّرِيَّة أثناء تعاملهم مع هواتفهم النقالة سواء من خلال تحكمهم الظاهر بمُختلف التطبيقات التي تُتيحها هذه الأنواع من الأجهزة أو من خلال طبيعة المواضيع التي تَشْغِل و تُثير اهتمامهم في حياتهم اليومية مثل: المكالمات الهاتفية أو تصفُّح المضامين الإعلامية أو تَفَقُّد مواقع التواصل عبر أجهزة الهواتف المزودة بالانترنت، و بشكل عام قيامهم بإجراء مُختلف العمليات الاتصالية التي يكون الهاتف النقال هو أداتها الأساسية بهدف إشباع حاجياتهم المختلفة.

لذلك يُظْفِي الشباب الجزائري شعور دائم و هم يتحسسون هواتفهم النقالة بكثير من الشغف و الإطلاع على ما يحدث في العالم ، و هم يبحثون عن صداقات جديدة بكتابة الرسائل و التعليقات و قراءة الرسائل و المشورات و التدوينات و التغريدات عبر مُختلف منصات و مواقع التواصل الاجتماعي ، و كذلك في تمضية الوقت من أجل تحقيق الاتزان النفسي و العاطفي و لتعزيز التفاعلية و الاندماج مع الآخرين ، لذلك فمن المهم ترك مسافة زمنية كي نفهم حقيقة الدوافع المُحرّكة لتعامل الشباب مع أجهزة هواتفهم النقالة بتفكير متأنّي يأخذ بالتأثيرات المختلفة التي تواكب الفعل التواصلي بالهاتف النقال في بيئة سريعة الحركة و التغيُّر.

إن الخدمات التي يُوفرها الهاتف النقال اليوم جعلت منه ضرورة حياتية عصرية - قد لا يُمكن الاستغناء عنه في الوقت الراهن - بل و صار جزءاً محورياً من نمط حياتنا ، كما فَرَضَ مجموعة من السلوكيات الجديدة والتي تحولت مع مرور الوقت إلى عادات ثقافية مُتَرَسِّخة داخل المجتمع، والمُلاحظ أن الهاتف النقال أثر بشكل واضح على ثقافة الشباب الذي غير من نظرتهم لفضاءهم الاتصالي بفضل خدماته المتنوعة واستخداماته المتعددة ومُميزاته الفريدة من : شاشة مُضيئة و لوحة أرقام أنيقة و بأشكاله الأخاذة و بأحجامه المتناسقة و بتطبيقاته الكثيرة. و بقدر ما توفرت هذه الخصائص و المتطلبات والأوصاف و الخدمات في جهاز الهاتف كان مدعاة للمُباهاة و التفاخر بين أوساط الشباب ، و ابتعد بذلك عن دوره الرئيسي والأساسي الذي أُوْجِدَ لأجله كأداة للاتصال .

و فيما سيأتي البعض من أوجه التوظيفات الإعلامية و الاتصالية التي يستخدمها الشباب الجزائري إنطلاقاً من هواتفهم النقالة:

➤ تصفح مواقع التواصل الاجتماعي بالهاتف النقال.

يَتَصَفَحُ و يتفقد غالبية الشباب الجزائري موقع الفايسبوك انطلاقاً من هواتفهم النقالة و هو ما يعكس جلياً أهمية و دور الفايسبوك كموقع تواصل اجتماعي في حياة الشباب الجزائري اليوم ضمن خريطة التواصل و التفاعل الشبابي اليوم ، و تدل أرقام و إحصائيات استخدام الفايسبوك على المستوى العالمي هذه الحقائق بوصفه الشبكة الاجتماعية الأكثر رواجاً و شعبية حول العالم بأكثر من مليارين من الذين يُجيدون القراءة و الكتابة⁽⁷⁾، و لقد أصبحت مواقع التواصل الاجتماعي : " الفايسبوك " و " التويتر " و " الأنستغرام " و " الواتس آب " و " الفايبير " كنوافذ مهمة من نوافذ البيت الجديد للهواتف النقالة .

(7). مجلة الجديد ، العدد 48، شهر نوفمبر 2018 ، ص 10.

و تُحصي الجزائر أكثر من 19 مليون مُستخدم للفيسبوك⁽⁸⁾ مع نهاية سنة 2017 م ، أي بنسبة 47.5% من سكان الجزائر، وترتفع هذه النسبة لدى الشباب الجزائري الذي يُبدي ولعاً خاصاً وهو يتفاعل مع المضامين الثرية لصفحات الفيسبوك ، و يبدو أن سهولة الاشتراك في هذا الموقع التواصلي العالمي قد أتاح للشباب الجزائري أن يَظَل مُتصل بمواقع التواصل الاجتماعي على مدار الساعة في الليل و النهار ، و من هؤلاء من يقضون أوقاتهم في هذا العالم الأزرق لنشر الأفكار و إبداء الآراء و التعاليق و مُشاركة الأحاسيس و العواطف و التي عادة ما تبدأ بالمرح و الثناء و الإعجاب و تطور إلى علاقات الحب و الغرام و الهيام .

و يُعتبر تطبيق الميسانجير مُرافق و مُساعد للتواصل عبر الفيسبوك عبر الكتابة و التراسل و تبادل الملفات الصوتية و السمعية البصرية، و يُوظف الشباب هذا التطبيق التواصلي في تكثيف العلاقات الاجتماعية و البحث عن روابط تواصلية و تفاعلية جديدة بين الجزائريين أو مع أفراد من أجناس و ثقافات و ديانات أخرى، و يعكس حجم التفاعل (للرسائل و المكالمات الصوتية و مكالمات الفيديو و المقاطع السمعية والصور والفيديوهات... الخ) المتزايد من طرف الشباب الجزائري عبر هذا الرافد الاتصالي المجاني يكون بشكل مُباشر و لحضي، و يفترض أن الذين لا يلتقون باستمرار يتواصلون مع بعضهم البعض أكثر خاصة مع المغتربون والأجانب.

و يُمكن تفسير مدى إقبال الشباب الجزائري على مختلف مواقع التواصل الاجتماعي في القراءتين الآتيتين :

(8) . يومية الشروق ، نواره بابوش ، 2500 جريمة إلكترونية ، و استهدفت نساء و وزراء و نوابا و مسؤولين ، يوم السبت 20 جانفي 2018 م ، العدد 5703 ، ص 05.

- القراءة الأولى : هُناك اتجاه و ميل جديد نَاشئ و مُتعاظم لدى الشباب الجزائري نحو مُواكبة مُوجة التواصل العالمي عبر التطبيقات الاتصالية الجديدة للانترنت ; و بشكل خاص مواقع التواصل الاجتماعي بفضل ما توفره شركات الهاتف النقال الناشطة بالجزائر أو تلك التطبيقات المُبتكرة من طرف المُطورين و الشركات على شبكة الانترنت، في مَسعى الانخراط العالمي للتواصل و التعارف و التعايش و التثاقُف للأفراد أمام إشكالية التحدي الحضاري بين التواصل اللامحدود مع الآخر و مبدأ المحافظة على الأنا و الهوية الأصيلة، وهو ما ذَهَب إليه " بيتر بي سيل " Petter B . Seel في كتابه " الكون الرقمي " بالقول: " وفرت التكنولوجيات للمجتمعات نطاقاً لا نَظيرَ له من أدوات التواصل بين الناس والربط بين الأجهزة، فبإمكانك الوصول إلى أي شخص في العالم يملك هاتفًا محمولًا . وهم حاليا خمسة مليارات من بين سُكان كوكب الأرض البالغ عددهم سبعة مليارات نسمة . ببضع نقرات على لوحة المفاتيح وربما ستكون هواتفهم المحمولة الضئيلة الحجم حلاً جذرياً لرأب الصدع الرقمي بين مَنْ يملكُون المعلومات والمحرومين منها على ظهر هذا الكوكب " (9) .

(9) . بيتر بي سيل ، ترجمة : وراد ضياء ، الكون الرقمي . الثورة العالمية في الاتصالات ، الناشر مؤسسة هنداي سي آي سي، الطبعة الأولى، المملكة المتحدة ، 2017م ، ص 11.

● القراءة الثانية : ليس لكل الشباب الجزائري نفس القُدرات المالية لشراء الهواتف الثمينة من الأجيال الحديثة للهواتف مثل (سامسونغ، آيفون، أوبو، هواويالخ) التي تُتيح إمكانية الانخراط في موجة التواصل العالمي على شبكة الانترنت ويزداد هذا الجرمان بالنسبة للذين يُعانون من الأمية المزدوجة (الأمية الإلكترونية و أمية اللُّغات الأجنبية) اللّذين يُحدّان من إمكانيات التواصل مع الآخرين من الأجانب.

و عموما الشباب الجزائري لا يَنقصه الحَماس التكنولوجي لمُسيرة الجِراك التواصل العالمي بحيث يَسعون جاهدين إلى إثبات وجودهم الاتصالي وترك بصماتهم و لو بدرجات مُختلفة عبر منصات مواقع التواصل الاجتماعي المختلفة السابقة الذكر عبر استعمالهم المختلفة انطلاقا من خصوصية ومميزات كل مَوقع اتصالي: فالفايس بوك من أجل التسلية والتحدث مع الأصدقاء و "الفايبر" من أجل التحدث بالصوت بجودة و نقاء ، و "التويتر" من أجل مُتابعة صُور و أخبار الفنانين و المشاهير و "الميسانجر" لكتابة الرسائل و تبادلها مع الأصدقاء خاصة البعيدين جغرافيا، كما تتجلى صوره من خلال تصفحاتهم و مُشاركاتهم و تَعاليقهم اليومية باستخدام أجهزة هواتفهم النقالة.

و ما يُمكن إلفات النظر إليه هو أن الهاتف النقال أصبح يوظف كأداة مُساعدة على التنفيس العاطفي لدى الشباب الجزائري من خلال مُشاهدة و تصفح الصور و الفيديوهات المثيرة المُحرّكة للشعور و العواطف و الأحاسيس و حتى الشهوات بين الشباب و التي تأخذ أشكال عديدة : كالتي تكون عبر مكالمات الهاتف النقال أو الكتابات المُتبادلة و الصور و الفيديوهات ، أو تلك التي تكون مُتاحة للعامة على شبكات مواقع التواصل الاجتماعي أو التي تُجري بين المُتصلين المُتفاعلين بشكل ثنائي أو جماعي عبر البث المباشر لمواقع التواصل الاجتماعي و التي تُخاطب المكبوتات النفسية و العاطفية للشباب و ما يتضمنه من تبادل التجارب الخ ، بعيدا عن كل أشكال الرقابات الأسرية و الإجتماعية و الأخلاقية و الدينية .

6. محاولة فهم السلوك التواصل بالهاتف النقال لدى الشباب الجزائري.

إن دراسة السلوك التواصل لدى الشباب يُمثل خصوصية مُتفردة لارتباطه بمرحلة عُمرية حساسة كما أسلفنا الذكر بحيث تُعتبر الفترة الشبابية من أعسر مَراحل النُمو، حيث أنها تُمثل فترة انتقالية على مُستويات عدة : جسمية و سِيكولوجية و روحية و اجتماعية ، و بذلك فهي عبارة عن عملية مُتكاملة للنُضج ، فمن أبرز التحوّلات التي تتسبب بها تلك المَرحلة هو النُضج العقلي و الذهني و العاطفي ... و نُمو القِيَم و الرغبات الاستقلالية و التَحَرُّر و الانتقال من العلاقات الأسرية القوية إلى العلاقات المبنية مع الأصدقاء و الأقران، و من التبعية الاقتصادية و الاجتماعية إلى مزيد من الاستقلالية، و في هذه الفضاءات عادة ما يتعرض الشباب إلى أوضاع نفسية و معنوية قلقة و إلى الانحراف و انتهاج سلوكيات غير مدروسة و مُتهورة في عدد من الحالات، و حينها يَكُونون عُرضة لمُختلف الانزلاق و خاصة في ضلّ ضُعف التربية السليمة و المُتكاملة⁽¹⁰⁾.

و لعل أكثر ما يُميز اتصالات الشباب هو المضمون العاطفي الذي يغلب على المُكالمات و الرسائل الاتصالية عند صياغتها و كتابتها ، بالإضافة إلى التعبير عن مُختلف الأفكار و الانشغالات الممزوجة بكثير من الانفعالات و الأحاسيس العاطفية سواء تعلق الأمر بالمضامين التي تبثها وسائل الإعلام المُختلفة التي تُخاطب فئة الشباب بوصفهم مُتلقيين لهذه المضامين أو بالنسبة لمالكي هذه الوسائل الذي يُوظفون الشباب لإنتاج المضامين الاتصالية و الترفيهية التي تُخاطب نفسيات و مكبوتات الفئات العريضة من الشباب الذين يُمثلون الفئات الأكثر تعاملاً مع وسائل الإعلام و الاتصال.

⁽¹⁰⁾ - وحدة البحوث و الدراسات السكانية، جامعة الدول العربية، معارف و اتجاهات و سلوك الشباب،

مطبعة الجامعة العربية، مارس 2002، ص 8-9.

إن سيطرة الشباب على وسائل الاتصال الحديثة يبدو أكثر وضوحاً بالنسبة لوسيلتي الإنترنت و الهاتف النقال حيث تؤكد مختلف الدراسات المهمة بعلاقة الشباب بوسائل الإعلام بأن الفئات الأكثر تأثراً بمضامين وسائل الإعلام والاتصال هم من فئة الشباب، و ليس فقط لكونهم يشغلون وضعا مهما في بنية المجتمع، و إنما لأنهم يعانون من مشاكل ينبغي حلها مثل: البطالة و الهجرة غير الشرعية و الانحرافات السلوكية و مشاكل الهوية الثقافية بسبب الانفتاح العالمي للثقافات، الذي ينتج عنه إشباع الرغبات المتعارضة مع القيم الموروثة داخل المجتمع، و هي في مجملها مشاكل تؤرق حياة الشباب دون إيجاد حلول لها.

كما يُعد الترفيه الجانب المهم المنتظر إشباعه من جراء استخدام وسائل الاتصال لدى الشباب و لا يعود ذلك إلى الأوقات الفراغ الطويلة التي يعاني منها الشباب بل لعدد مسبباته مثل البطالة و انعدام المرافق الضرورية لتمضية أوقات الفراغ بنشاطات مفيدة و إنما راجع ذلك أيضا إلى الميل الفطري لدى الشباب إلى الترفيه و الاستمتاع بما تقدمه وسائل الإعلام من برامج و أنشطة تستجيب للحاجات الخاصة التي يطلبها الشباب؛ لذلك يستخدم الشباب وسائل الاتصال المختلفة و الهاتف النقال بصفة خاصة بهدف تحقيق ذواتهم الخاصة في إطار التكيف الاجتماعي العام من خلال عمليات التواصل مع الآخرين من الأهل و الأقارب و التفاعل العاطفي مع الأحباب و الأقران .

و الهاتف النقال كوسيلة اتصال و تفاعل بين الشباب الجزائري ، من منطلق أن هناك متغيرات عديدة تتحكم و تحدد دوافع استخدام الشباب للهاتف النقال رغم وجود الكثير من النقاط المشتركة التي تؤثر في كيفية استعماله و أوقات استخدامه... الخ؛ لأن التصورات التي يحملها الشباب الجزائري اليوم تجاه الهاتف النقال تختلف عن باقي التصورات لدى الشرائح الأخرى من المجتمع.

و في الواقع نجد أن الشباب يتبادلون المكالمات و الرسائل القصيرة التي تحمل مَشايعِ الحُب و الغرام أو التَحَرش و المُعاكسات و الابتزاز بعيداً عن المراقبة و الضَبط الاجتماعي، بحيث تُتيح مُكالمات الهاتف النقال بين الجنسين من الشباب مساحات زمنية لا حصر لها لتقاسم التجارب العاطفية * في أدق تفاصيلها بالصوت و الصورة من خلال المكالمات المرئية عبر خدمات الجيل الرابع التي دخلت سوق الهاتف النقال في الجزائر في الآونة الأخيرة .

و هذه التجربة لم تعد مُقتَصرة على الفئة الشبابية فقط و إنما اتسعت لتشمل باقي الأعمار و الفئات ، و عليه فإن المكالمات الخلوية عبر الهواتف النقالة مع الجنس الآخر تُعتبر مُتنفس عاطفي يُخَفِّف حالات الضَغَط و الاحتقان لدى الشباب بِصفة خاصة ، كما لا يُمكن إنكار بأن الهاتف النقال سَاهم في إدخال بعض السلوكيات الجديدة على المجتمع الجزائري، و التي تَتمَظْهَر بِصُورة أكثر وُضُوح في تشجيع الثقافة الاستهلاكية لدى الفرد الجزائري و على نَحْوِ مُبالغ فيه لدى الشباب الذين يُنفقُون على مُكالمات الهاتف النقال أكثر من إنفاقهم على باقي المُستلزمات الحياتية الأخرى!.

و على المُقابل و كَنتيجة لِتملُك وسائل الاتصال تَبَرَّز ثقافة الاستهلاك المَظْهَري لدى الأفراد من خلال زيادة إنفاقهم على خدمات الهاتف النقال، إذ تُشير ثقافة الاستهلاك كما يراها أحمد زايد " إلى الجوانب الثقافية المُصاحبة للعمليات الاستهلاكية التي تُعني مجموعة المعاني و الرموز و الصُور المُصاحبة لعمليات الاستهلاك اليومية " (أحمد زايد و آخرون ، 1991، ص 28).

* مُشكلة الشباب في سن المراهقة أن نضجهم الجنسي و مشاعرهم الغرائزية تتطور بما يفوق نضجهم العقلي في هذه المرحلة العمرية ، و هو ما يُفسر في اعتقادي أن الشباب أكثر ميلا و انسياقاً إلى الفحش الهاتفي و تصوير الأجساد و تبادل الصور و الفيديوهات الخادشة للحياء عبر الهواتف النقالة.

كَمَا يَتَقاطع مفهوم ثقافة الاستهلاك مع مفهوم استهلاك الكماليات من حيث أنه الإسراف في استهلاك الثروة والسلع والخدمات الباهظة الثمن من أجل التظاهر، أي أن هذا النوع من الاستهلاك يهدف إلى الكشف عن الثراء، و التفاخر و المكانة الاجتماعية(محمد عاطف عيث وآخرون، 1979، ص 86).

و من الطبيعي أن يطرح استخدام وسيلة اتصالية جديدة داخل المجتمع ردّات فعل قوية و حتى غير مرغوبة مثل الهاتف النقال لدى فئة الشباب كنتيجة للإنجرافات الكثيرة في استخدامه عكس ما كان مهيأ له و يستعمل لأجله داخل المجتمع، و هو ما يسبب امتعاض الكبار كتعبير منهم عن رفضهم للاحتياجات الجديدة للشباب في شكل مواجهة صريحة لهذه الاحتياجات.

و تبين الملاحظة الخارجية للملامح الوجه أثناء مُداعبة الشباب للهواتف النقالة أو من خلال الانشغال بالردّ على مكالمات الهاتف الخليوي، أو من خلال مُشاهدة حركات الشفاه أثناء تبادل الأحاديث الهاتفية في الفضاءات المفتوحة بالأماكن العمومية و في الشوارع و عبر وسائل النقل ، كما أن إستغراق الشباب و لأوقات طويلة في الاستماع للأغاني* و النغمات يُثير الكثير من المخاوف من مُنطلق أن إدمان الشباب على الاستماع للأغاني أو ما أضحى يُسمى بالترفيه الإلكتروني لفترات طويلة و بصوت صاخب من شأنه أن يحدث أضرار بالأذن و بحاسة السمع لدى الشباب.

* و يُوفر مُتعاملي الهاتف النقال في الجزائر باقات من الأغاني و النغمات و رنات الانتظار للمُشتركين و بِخاصة لفئة الشباب منهم لتحميلها مُقابل اشتراكات نقدية لكل صيغة من هذه الصيغ بعد تشغيل هذه الخدمة المعروضة على مواقع الانترنت الخاصة بالمُتعاملين : موقع جيزي : www.Djezzy.dz و موقع موبيليس : www.Mobilis.dz و موقع أوريدو : www.ooreidoo.dz

كما أن المكالمات الهاتفية التي تتم بين الشباب و خاصة فيما بين الجنسين تُحافظ على حرارة التّخاطب أو التّهاؤف في هذا النوع من الاتصال الشّخصي ، و قد يكون سلوك الشباب الاتصالي مُركز على الهاتف النقال بشكل كبير في منجى مُتابعة مظاهر التّحضّر الذي يُعدّ فيه الشباب الفئّة الأكثر تأثراً و مُواكبة للمُوضة بعد تأثرها بمضامين بوسائل الإعلام و الاتصال التي تعمل على مُخاطبة غرائز الشباب و تنشيط الدوافع و المكونات النفسية نحو تمثّل وسائل الاتصال الحديثة و استخدامها اجتماعياً في سياق المُشاركة في إنتاج الثقافة الاتصالية التي يشترك فيه جميع الأفراد داخل المُجتمع.

و لعل الكثير من الشباب ينظر إلى الهاتف النقال على أنه المنقذ المُساهم في تحرير عواطف و أهواء فئات عريضة من الشباب، إذ يُحاول هؤلاء من خلال مكالمات الهواتف النقالة الخلوية التي تتم فيما بين الجنسين بعيدا عن المُراقبة الاجتماعية و الأسرية تفرّغ الشّحنات العاطفية ، و هو ما يُفسر ميدانياً كثافة المكالمات الهاتفية و لفترات طويلة التي يستغرقها الشباب في الفترات المسائية و الليلية و التي تأخذ الطابع العاطفي فيما بين الجنسين.

4. خاتمة:

نُحوِّل إنطلاقاً مما سبق تبيانَه و عرضه أن هُناكَ إتجاه بدأ يَرتسم فيما يَخُص مُستقبل العلاقات الاجتماعية بعد دُخول الهاتف النقال كَمِحور رئيسي في مُختلف العمليات الاتصالية التي تَتِمُّ داخل العائلة و الأسرة و بِشكل عام داخل المُجتمع، و يَتمظهر ذلك من خلال كثافة المُكالمات الهاتفية عبر الهاتف النقال فيما بين الأفراد في الأماكن العُمومية و في الشوارع و على نطاق أوسع بين مُختلف الشرائح الاجتماعية في كُل الأماكن و في كُل الأوقات ، و هُو ما يجعل استخدامات الهواتف النقالة مُتعددة .

و عليه فإن للهاتف النقال دوراً مُهماً في إرساء ثقافة تواصل جديدة في حياة الشباب ليس فقط كونه أضحي ضرورة حياتية لا غنى عنه في إجراء مُختلف عمليات التواصل اليومية ، و إنما باعتباره وسيلة مُساهمة في حل الكثير من المُشاكل النفسية و الاجتماعية التي يُعاني منه الشباب الجزائري، و التي منها مشاكل التواصل مع العائلة و الأقارب و الأصدقاء و الأحباء البعيدين مكانياً ، كما مكنت المُكالمات الهاتفية من تَخْطِي الكثير من الحواجز النفسية و من التَخفيف من حالات اليأس و الاحتقان و الفراغ الرهيب الذي يُعاني منه الشباب الجزائري، و بِصفة عامة أعطى مَعْنى مُغاير و نَظرة مُختلفة لكيفية نظرة الشباب إلى العالم الاتصالي الذي يُعَايشونه اليوم.

5. قائمة المراجع:

- (1) . أنظر نتائج التقرير على الرابط التالي : <https://datareportal.com/reports/digital-2020-october-global-statshot>.
- (2) . مي العبد الله و عبد الكريم شين، 2014 ، المعجم في المفاهيم الحديثة للإعلام و الاتصال . المشروع العربي لتوحيد المصطلحات، بيروت ، دار النهضة العربية ، الطبعة الأولى.
- (3) . تعرف على أشهر 5 أنظمة تشغيل للهواتف الذكية ، أنظر الرابط التالي على شبكة الانترنت : WWW.DOTMSR.COM.
- (4) . أنظر الإحصائية المقدمة من طرف موقع اليوتوب على الرابط التالي على شبكة الانترنت : <https://www.almrsal.com>.
- (5) . كشف سبر آراء أعدته المنظمة الجزائرية لحماية المستهلك على موقعها الرسمي: apoce.alger@gmail.com.
- (6) . أنظر نتائج التقرير على الرابط التالي : <https://datareportal.com/reports/digital-2020-algeria>.
- (7) . أنظر التقرير السنوي لنشاط سلطة ضبط البريد والاتصالات الإلكترونية عبر الرابط التالي : https://www.arpce.dz/ar/doc/pub/raa/raa_2019.pdf.
- (8) . مجلة الجديد ، العدد 48 ، شهر نوفمبر 2018.
- (9) . يومية الشروق ، نواره بابوش ، يوم السبت 20 جانفي 2018 م ، العدد 5703 ، 2500 جريمة إلكترونية ، و استهدفت نساء و وزراء و نوابا و مسؤولين.
- (10) . بيتر بي سيل ، ترجمة : وراذ ضياء ، 2017م، الكون الرقمي . الثورة العالمية في الاتصالات ، المملكة المتحدة الناشر مؤسسة هنداوي سي أي سي، الطبعة الأولى.
- (11) . وحدة البحوث و الدراسات السكانية، مارس 2002 ، معارف و اتجاهات و سلوك الشباب، مطبعة الجامعة العربية، جامعة الدول العربية.
- (12) . أحمد زايد و آخرون ، 1991، الاستهلاك في المجتمع القطري : أنماطه و ثقافته، بجامعة قطر الدوحة، مركز الوثائق للدراسات الإنسانية.
- (13) . محمد عاطف عيث و آخرون ، 1979، قاموس علم الاجتماع ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب